

الأسلوب والأسلوبية:**النشأة والمفهوم والمبادئ والاتجاهات****الباحثة/ زينب كامل محمد عبد العال**

المدرس المساعد بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم- جامعة المنيا

الملخص باللغة العربية:

تعد الدراسات الأسلوبية من أبرز الدراسات الحديثة التي تهتم بالنص الأدبي دراسةً وتقنيًا ورسديًا، حيث يمثل الأسلوب واحدًا من أهم المناهج التي لها القدرة على الكشف عن بصمة الشاعر داخل النص الشعري، تلك البصمة التي استقاها الشاعر من محيط بيئته وعنصر ثقافته وفي ذلك ترسيخ لمقولة إن الشاعر وليد بيئته، ومنها يستمد تراكيبه وصيغه ومعانيه ومعجمه الشعري.

وقد ظهر علم الأسلوب استجابة للتطورات العلمية التي قامت في القرن التاسع عشر كغيره من العلوم والنظريات والمناهج التي استدعتها تلك التطورات، كما تقوم الدراسات الأسلوبية معتمدة بشكل كبير على فكرة الاختلاف في استعمال اللغة، حيث إن هناك اختلاف واضح في استعمال اللغة بين البيئات المختلفة، فأهل المدن تشيع بينهم مصطلحات لا يتعارف عليها أهل القرى، بل إن هناك اختلافات واضحة بين استعمال أصحاب كل مدينة للغتهم عن أصحاب مدينة أخرى، ولا شك أننا إذا أردنا أن نحصي كل مظاهر الاختلاف في استعمال اللغة فذلك شيء مستحيل؛ نظرًا لاختلاف المواقف، والأشخاص، والفئات، والأجناس.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الأسلوبية، اتجاهات الأسلوبية، مبادئ الأسلوبية.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Stylistic studies are among the most prominent recent studies that literary text study, refutation and monitoring researcher represent the style and one of the most powerful approaches on revealing the poet's fingerprint within the poetic text for you the imprint he gained from his environment and his age in this, the consolidation of the saying that the poet is the guardian of his environment, including it derives its competitors formula, meanings, and poetic star the general style appeared in response to the scientific developments that took place in the nineteenth century.

Other sciences and the ories, and the curriculum that were expanded by these development's, and the studies are based Islamism is very much defined by the idea of the differences individuality in the use of language.

مقدمة:

تعد اللغة وسيلة التواصل الأولى للتعبير بغرض الإفادة، وهناك اختلافات متعددة في استعمال اللغة بين البيئات المختلفة، فأهل المدن تشيع بينهم مصطلحات لا يتعارف عليها أهل القرى، بل إن هناك اختلافات بينية بين أهل المدينة والأخرى، وهذا ما يسمى بالأسلوب، حيث إن اختيار لفظ أو صيغة أو تركيب معين هو الأسلوب ذاته، ولا شك أن محاولة إحصاء كل مظاهر الاختلاف في استعمال اللغة محاولة صعبة تصل إلى درجة المستحيل؛ نظرا لاختلاف المواقف، والأشخاص، والفئات، والأجناس، ومن هنا قامت الأسلوبية مرتكزة على محور الاختلاف في استخدام اللغة، كما أصبحت الأسلوبية من أبرز الدراسات الحديثة التي تهتم بالنص الأدبي دراسة، ورسدا، وإحصاء، كما صار الأسلوب واحدا من أكثر المناهج التي تكشف عن بصمة المبدع داخل عمله الأدبي.

تمهيد:

حينما كانت النظرة الفلسفية الأرسطية تسيطر على كل العلوم جعلت منها علوماً مادية، هيمنت تلك النظرة على العلوم اللغوية على وجه الخصوص؛ فكانت تجعل من اللغة شيئاً مادياً لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء، ومن هنا صارت اللغة عبارة عن نتاج جماعي وشيء ثابت، لا تستطيع أن تعبر بنفسها عن شيء، كما أصبح لكل موقف من المواقف ما يتناسب معه من الألفاظ والعبارات والأساليب، ومن هنا كان عليهم أن ينتبهوا إلى طبقات الأسلوب التي تفرض نفسها آنذاك وهي "طبقة الأسلوب السامي، طبقة الأسلوب المتوسط، طبقة الأسلوب البسيط، مما جعلهم يحددوا لكل طبقة من هذه الطبقات موضوعاتها ومفرداتها التي تستعمل فيها، وصورها التي تزدهن بها"^(١).

ومن ثم كان على كل كاتب أن يراعي هذه الطبقات بما يناسبها؛ فأدى هذا التقسيم إلى حدوث نوع من الجمود نظراً للنظرة الثابتة المثالية الفلسفية التي سيطرت على كل العلوم، لكن هذه النظرة لم تلبث كثيراً؛ إذ قامت مجموعة من الحركات المضادة التي سعت إلى تحرير العلوم - وبخاصة الأدب - من هذا الفكر وتخليصه من هذه القيود المادية، كما سعت إلى تحرير المواقف بحيث يصير لكل موقف خصوصية متعلقة به دون غيره، ومن ثم لكل موقف أسلوب خاص به يميزه عن جميع المواقف والأحداث الأخرى.

وكان من أولى تلك الحركات ما نادى به (جورج بوفون ١٧٠٨-١٧٨٨) في مقاله عن الأسلوب إذ "حاول ربط قيم الأسلوب الجماعية بخلايا التفكير الحية المتغيرة من شخص إلى آخر"^(٢).

يعلن هذا المقال كون الأسلوب هو الرجل، ويكون هذا الأسلوب صورة مطلقة لفكر صاحبه بعيدة كل البعد عن القيود، فالموقف هو الذي يخلق كلماته، لا الكلمات تصنع المواقف.

ومع بداية القرن التاسع عشر ازداد تطوير العلوم والمفاهيم والمناهج، وكان علم اللغة رأس هذه العلوم التي تطورت تطوراً ملحوظاً؛ فجعل من اللغة فعلاً خلاقاً، وأداة نفسية لا شيئاً مادياً ثابتاً، وبذلك تكون اللغة قد اقتربت من العلوم التجريبية.

(١) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين التراث والمعاصرة، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٧.

(٢) أحمد درويش، دراسة الأسلوب، ص ١٨.

نشأة علم الأسلوب:

ومع ذلك التطور ظهر علم الأسلوب سائراً على درب العلوم اللسانية وممثلاً لمناهجها؛ إذ ظهر علم الأسلوب في البداية مرتدياً ثوب علم اللغة، ثم بدأت تظهر معالمه ومفاهيمه شيئاً فشيئاً متزامناً مع الاتجاهات الحديثة لعلم اللغة "فظهرت ثنائية هيمبوليت في تمييزه بين العمل والطاقة التي استمد أصحاب المدرسة المثالية الألمانية أفكارهم منها؛ فنادوا بأن اللغة عبارة عن فعل خلاق للفرد، وأداة سلبية للجماعة"^(١).

وظهرت أيضاً ثنائية العالم اللغوي دوسوسير في تفريقه بين اللغة والكلام "وقد استمد أصحاب المدرسة الفرنسية أفكارهم من هذه الثنائية، فرفضوا القول بمادية اللغة فهي ذات أصل نفسي اجتماعي"^(٢).

فاللغة ذات خلق إنساني، "ومن رواد هذه المدرسة شارل بالي الذي يُعد مؤسس علم الأسلوب الحقيقي؛ إذ استطاع تحرير الأسلوب من درس البلاغي وجعله علماً قائماً بذاته يُسمى درس الأسلوب والأسلوبية"^(٣).

وقد كانت آراء بالي تتمركز في فكرة الاختلافات الفردية في استعمال اللغة، فلكل فرد معجمه اللغوي المتميز الذي يفضل فيه استعمال بعض الكلمات والبعد عن أخرى، كما أن لكل فرد طريقته الخاصة في صياغة الجمل والتراكيب، ولا شك أن هذا الاختلاف والتنوع في الصياغة يعود إلى اختلاف المواقف، وفي ذلك إشارة واضحة إلى اجتماعية اللغة، فاللغة ذات نظام اجتماعي تتنوع أشكالها وتراكيبها، فلكل مجموعة من البشر طريقته الخاصة في استعمال اللغة، كما أن لكل صنف من الناس لغتهم؛ فالرجال تشيع بينهم كلمات لا تستعملها النساء، والأطفال يستخدمون لغة لا يميل إليها الشباب، وهكذا في الفئات العمرية والعنصرية، كما أن لكل مجموعة متخصصة في علم معين مصطلحات خاصة؛ فالأطباء يتداولون فيما بينهم مصطلحات متعارف عليها بين كل أفراد المهنة.

وهناك اختلاف واضح في استعمال اللغة بين البيئات الاجتماعية المختلفة؛ فأهل المدن تشيع بينهم مصطلحات لا يتعارف عليها أهل القرى، بل إن هناك اختلافات واضحة بين استعمال أصحاب كل مدينة للغتهم عن أصحاب مدينة أخرى.

(١) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣) منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

ولا شك أننا إذا أردنا أن نحصي كل مظاهر الاختلاف في استعمالات اللغة فذلك شيء مستحيل؛ نظراً لاختلاف المواقف والأشخاص والفئات والأجناس، ومن هنا صاغ شارل بالي أفكاره فرأى أن اللغة "مجموعة من وسائل التعبير التي تتناوب مع الفكرة، وأن علم الأسلوب يُعنى بدراسة الوسائل التي يستخدمها المتكلم للتعبير عن أفكار معينة"^(١).

وبذلك يكون (شارل بالي) قد أخرج الأدب من دراسته لعلم الأسلوب "قرأى أن علم الأسلوب يجب ألا يتحدث في كيفية استخدام الأدباء لتلك الدلالات المضافة فلا يسأل عن مدى مناسبتها للموقف الوجداني الذي يصوره الشاعر أو الشخصية التي يقدمها الروائي أو الكاتب المسرحي فمثل هذه الأسئلة خارجة عن عمل الدرس الأسلوبي"^(٢).

يتبين من ذلك أن سبب رفض (بالي) إدخال الأدب في الدراسة الأسلوبية هو وجود فجوة كبيرة بين استعمال الفرد للغة في ظروف عامة واستعمالها عند شاعر أو روائي أو خطيب؛ فكلام الإنسان اليومي لا يخضع لقاعدة أو منهج واضح وثابت يُقاس به استعمال الفرد للغة واستعمالها عند سائر المتكلمين الآخرين، أما الأديب فتخضع لغته لقاعدة أو منهج معين فهو يستخدم اللغة بقصد جمالي؛ فيعمد إلى صيغ وعبارات وأوزان تجعل كلامه أشبه ما يكون باللوحه المرسومة أو باللحن المعزوف.

وكان ذلك نقطة خلاف واضحة بين (بالي) وأحد تلاميذه (مارسيل كرنسو) الذي رأى أن الجانب الجمالي في النص الأدبي يعتمد إلى استخدام أساليب مميزة؛ لاستمالة السامع وجذبه وإقناعه، وهذا لا بد أن يكون سبباً قوياً لدخول النص الأدبي دائرة الدراسة الأسلوبية، فاختيارات الأديب واضحة مع القصد؛ فالشاعر مثلاً يفضل صيغة عن أخرى، وتركيباً عن آخر، ووزناً عن نظيره، كل هذا من باب القصد في وسائل التعبير اللغوي، وعلى ذلك يكون العمل الأدبي عند (كرنسو) وسيلة اتصال لضمان وصول المعنى عند القارئ فالعمل الأدبي إذن ميدان علم الأسلوب.

وظهر علم الأسلوب الجديد بعد مذهب (بالي) الذي يُنسب إلى العالم الألماني (دليوسنتن) وقد تأثرت أغلب المدارس الحديثة في علم الأسلوب بأرائه، وبخاصة المدارس التي قررت أن هناك علاقة متبادلة بين الخصائص الأسلوبية للنص والجو

(١) محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السليح من أبريل، الطبعة الأولى، ٤٢٦م، ص ٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

الفني لمؤلفه، وهذه الفكرة في معناها مستمدة من مقولة الفرنسي (بوفون) "الأسلوب هو الإنسان نفسه".

وتعددت مذاهب العلماء في الأسلوب واختلفت فيه شأنها في ذلك شأن كل العلوم الحديثة التي ظهرت حينذاك، ونشأت تيارات يسلك أصحابها عكس ما يسلكه الآخرون، لكن لا شك أن علم الأسلوب يُعنى بكل ما يتعلق بالأسلوب ويكشف عن خصائصه المميزة للتعبير أيًا كان: مكتوبًا أو منطوقًا، وأن الأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، كما أن علم الأسلوبية أصبح رابطًا يربط بين اللسانيات والإبداع الفني الأدبي، ثم تعددت مناهج علم الأسلوب واتجاهاته التي تهدف إلى دراسة النص الأدبي وفهمه باعتبار النص الأدبي انزياحًا وعدولًا عن المؤلف، هذا الانزياح يخلق الميزة الأسلوبية عند المبدع.

مفهوم علم الأسلوب:

وردت كلمة أسلوب في اللغة العربية بمعانٍ مختلفة واستعمالات متنوعة "إذ يقال للسطر من النخيل، وكل طريق ممتد: أسلوب، فالأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، ويُجمع على أساليب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي: في أفانين منه"^(١).

ويتناول الزمخشري مادة (سلب) بقوله: "سلبه ثوبه فهو سلب، وأخذ سلب القتيل وأسلب القتلى، ولبست الثكلى السلب وهو الحداد، وتسلبت وتسلبت على ميتها فهو مُسَلَّب...، وسلكت أسلوب فلان أي: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله واستلبه وهو مُسْتَلَب العقل، وشجرة سلب: أخذ ورقها، وناقاة سلوب: أخذ ولدها، ويقال للمتكبر: أنفه في أسلوب: إذا لم يلتفت يمينًا ولا يسرة"^(٢).

يتضح من خلال المعجم أن لمادة (سلب) جانبان: جانب مادي يقوم على السلب والأخذ في الورق والنوق، وجانب جمالي فني يقوم على المذهب والفنون، فالأسلوب هو فن الاختيار، والأسلوبية في جوهرها تقوم متمثلة في مبدأ الاختيار: اختيار الأصوات والألفاظ والتراكيب والبحور الشعرية، ومن هنا اختلف الأسلوب من مبدع لآخر؛ فلكل مذهب الذي لا يتشابه ولا يتساوى فيه مع غيره، وكل يعتمد على طريقته التي يستميل بها المتلقي.

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مادة (سلب)، ص ٢٠٥٩.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، طبعة كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤٥٢.

وقد كان حازم القرطاجني من أوائل العلماء العرب الذين تحدثوا عن مفهوم الأسلوب أثناء حديثه عن الشعر؛ إذ ذهب إلى أن لكل غرض شعري جملة كبيرة من المعاني والمقاصد ولهذه المعاني جهات: كوصف المحبوب والخيام والطلول وغيرها "وأن الأسلوب صورة تحصل في النفس من الاستمرار على هذه الجهات، والتتقل فيما بينها ثم الاستمرار والإطراد في المعاني الأخرى مما يؤلف الغرض الشعري"^(١).

وحازم هنا يقصد أسلوب الشعر الراسخ في أذهان الشعراء العرب، فلو أراد الشاعر أن يتحدث عن غرض الغزل مثلاً أو المدح، فإنه يتطرق إلى الحديث عن الطلل ثم ذكر محبوبته، ثم صفات ممدوحه أو محبوبه، وهكذا يكون الشاعر ضمن حديثه قد عدّد أبواباً كثيرة وتطرق إليها داخل غرضه الشعري، وعلى ذلك يكون الأسلوب عند القرطاجني طريقة لجمع الأفكار داخل الغرض الشعري، وهذا الحديث بالطبع يسوقنا إلى فكرة (النظم) التي شاعت حين ذاك منذ أن بلور مفهومها عبد القاهر الجرجاني.

يقول القرطاجني: "إن الأسلوب هيئة تحصل من التأليفات المعنوية، وإن النظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية، وإن الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ، فوجب أن يلاحظ فيه من حسن الإطراد والتناسب والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة، والضرورة من مقصد إلى مقصد، مما يلاحظ في النظم من حسن الإطراد من بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"^(٢).

وبهذا يرى القرطاجني أن النظم أوضح من الأسلوب، كما اقتصر حديثه في الأسلوب على الشعر فقط.

ويكاد حديث ابن خلدون (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) يقارب ما ذهب إليه القرطاجني؛ إذ يرى أن لكل فن أساليب مختصة به، ويخص بالذكر فن الشعر دون غيره برعاية الأساليب، وفي ذلك إشارة واضحة إلى علاقة الأسلوب بالمبدع/المنشئ.

فالأسلوب كما يرى ابن خلدون "صورة ذهنية لا تأخذ الشكل المتجسد إلا بتمام التركيب اللغوي، فهي طريقة من طرائق التعبير يسلكها المتكلم كخطاب الأطلال، أو استدعاء الصحب للوقف والسؤال"^(٣).

وعلى ذلك يكون ابن خلدون كالقرطاجني في تناوله للأسلوب؛ إذ جاء حديثهما عبارة عن إشارات داخل دراسة الشعر العربي، وبهذا تكون كل محاولات الوقوف على

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأنبياء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٦٦م، ص ٣٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٤.

(٣) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد)، المقدمة، تح: علي عبدالواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، الجزء الرابع، ص ١٢٩١.

الأسلوب دون دراسة أو تحليل أو نظرية أو منهج، ولا شك أن السبب وراء ذلك يعود إلى تلبية فن البلاغة لحاجة العصر آنذاك من إحصاء المفاهيم المرتبطة بفن القول. هذا ولا يمكن التغافل عن المفردات الشائعة لمفهوم الأسلوب في العصر الحالي عند كل فئة أو مجموعة من عناصر المجتمع: فيستخدمه العلماء بمعنى منهج البحث العلمي، ويستخدمه الشاعر بمعنى الصورة والوزن، فأسلوب الشعر مختلف عن أسلوب النثر، بل إن الأسلوب يختلف داخل عناصر الفن الواحد؛ فالأسلوب في الرواية مثلاً يختلف عن القصة أو المسرحية...

وبهذا يكون مصطلح الأسلوب مصطلحاً مُشكلاً لا يمكن حصره داخل فن واحد أو علم واحد، وفي ذلك إشارة قوية إلى بصمة التفرد والتميز التي تُميّز مبدعاً عن آخر فيستملك إبداعه؛ وهذا ليس إلا لاستحسان أسلوبه الذي يميزه عن كثير من أقرانه.

المفهوم الغربي للأسلوب:

"يعود الأصل اللغوي الإنجليزي لكلمة (Style) إلى اللغة اللاتينية؛ حيث كان يعني عصا مدببة تُستعمل في الكتابة على الشمع"^(١) ويراد بها أداة الكتابة كالقلم، ثم انتقل الأصل بطريق المجاز إلى مفاهيم تتعلق بطريقة الكتابة.

وجاء مصطلح الأسلوب في كتب البلاغة اليونانية القديمة بمعنى التعبير ووسائل الصياغة، ولها وظيفة حددها أرسطو بالإقناع؛ فالناس في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة "فالأسلوب عند أرسطو شيء أجنبي مضاف إلى التعبير، وبناء على تصوره يمكن أن يفصل الأسلوب عن التعبير فيكون التعبير غير أسلوبية، وبعيداً عن تحقق هذا التصور في الواقع فقد نشأ تعريف للأسلوب يرى أن الأسلوب إضافة ملمح تعبيرية، وأننا في تحليل النص علينا فرز الملامح التعبيرية كي نصل إلى الأسلوب، ولما كان الأسلوب شيئاً مضافاً إلى التعبير فلا بد من وجود غرض أو هدف وراء تلك الإضافة، وهنا يوضح أرسطو الهدف بالإقناع والتأثير في السامعين"^(٢).

وقد أوضح أرسطو صفات عامة يجب أن تتوفر في الأسلوب، وهي:

- ١- صحة الأسلوب: وتعني جودة الكلام.
- ٢- وضوح الأسلوب: وهو شرط لجودة الكلام.
- ٣- دقة الأسلوب: وتعني مناسبة الأسلوب للموقف.

(١) The General Basic English Dictionary.P.٣٦٦. نقلاً عن كريم الكواز في كتابه "علم الأسلوب"، ص٥٣.

(٢) محمد كريم الكواز، علم الأسلوب، ص٥٤،٥٣.

وتناول علماء اللغة الأروبيون في العصور الوسطى دراسة الأسلوب فقسموه إلى ثلاثة أقسام:

- ١- الأسلوب المتدني.
- ٢- الأسلوب الوسيط.
- ٣- الأسلوب السامي.

وهذا التقسيم بلا شك يعود إلى تنوع واختلاف طبقات المجتمع حينئذ الذي استدعى بالطبع تنوع طبقات الأسلوب أيضاً.

وفي الاستعمال الحديث للغة الإنجليزية تُستعمل كلمة أسلوب بمعنى "طريقة الحديث أو الكتابة، ودلت في بعض استعمالاتها على الاسم الصحيح للشخص أو نمط لباسه وسلوكه، وكان الأسلوبى (Stylist) مَنْ يهتم بالأسلوب ويعتني به من الكتاب، أو مَنْ يلبس الطراز المستحدث من الملابس"^(١).

ويرى الباحثون الفرنسيون أن أصل كلمة (Style) من اللغة اللاتينية (Stilus) التي تعني إزميلاً معدنياً كان القدماء يستخدمونه في الرسم على ألواح مشمعة، وربما نصوا على أن المقصود من الإزميل رأسه المدبب، ومن الطبيعي أن يكون لكل طريقة في استعمال الإزميل، والاصطلاح في ميدان الأدب يدل على ما هو ظاهري في النص الأدبي من اللغة بما فيها من مفردات وتراكيب، ومن بلاغة وعروض"^(٢).

"وظهر عند الفرنسيين مفهوم للأسلوب ينطلق من النظر إلى علامة النص بمؤلفه فاشتهر قول بوفون (إن الأسلوب هو الإنسان نفسه)"^(٣).

"وقد دخل مصطلح الأسلوب في الدراسات البلاغية والنقدية القديمة للدلالة على النظام والقواعد العامة، كما دخل في الدراسات الحديثة للدلالة على طريقة التعبير عن الفكر بوساطة اللغة"^(٤).

ومن كل هذه التعريفات الغربية للأسلوب لا يكاد يخرج المفهوم العام عن وسائل الكتابة وأدواتها، ومن ثم الاستخدام الخاص لهذه الأدوات لتمييز العملية الإبداعية.

(١) The Shorter Oxford English Dictionary. P٢٠٣٣. نقلاً عن كريم الكواز في كتابه علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، ص٥٥.

(٢) مقدمة في النقد الأدبي، ص٣٠٦.

(٣) معجم المصطلحات العربية، ص٢٢.

(٤) بيرو جيرو، الأسلوبية تر: منذر عياشي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٧.

مبادئ الأسلوبية:

بحث النقاد في أساليب اختلاف الكُتّاب وتفردهم فوضعوا أيديهم على ثلاث نقاط أطلقوا عليها مبادئ الأسلوبية، وهذه المبادئ يُعزى إليها تفضيل كاتب عن آخر من خلال أساليبه التي يعمد فيها إلى اختيار لفظ عن آخر، وتركيب عن غيره...، وهذه المبادئ، هي:

(١) الاختيار

ويمثل أهم مبادئ علم الأسلوب؛ حيث يُعنى بتحليل أسلوب الكاتب، ويُقصد به "إمكانية الاختيار بين عبارتين أو أكثر، أو بدائل أسلوبية تتفان في المعنى، ولكنهما لا تؤديانه بالطريقة نفسها"^(١).

يتضح من ذلك أن تفضيل لفظة على أخرى واستخدامها من قِبَل المؤلف هو ما يسمى محور الاختلاف.

ويتصل هذا المبدأ بشيء آخر وهو ما يسمى محور التوزيع أو التأليف: "ويُقصد به تنظيم وتوزيع الألفاظ المختارة أفقيًا وفق قوانين اللغة، وما تسمح به من تصرف، وهذه العملية يسميها (ياكسون) إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع"^(٢) وعلى هذا المبدأ يكون النص الأدبي هو مجموعة الاختيارات التي يقع عليها اختيار المبدع على مستوى نصه الإبداعي.

(٢) التركيب

يمثل النص الأدبي صورة من العدول والخروج عن قوانين اللغة وهذا ما يميز النص الأدبي عن غيره من النصوص، ومن هنا لازمت الأسلوبية النص الأدبي وارتبطت به، وحاولت الوقوف على أدبية النصوص وإدعائها.

ويمثل النص الشعري فناً مميزاً من فنون الأدب؛ حيث يجوز للشاعر -على وجه الخصوص- ما لا يجوز لغيره من الكُتّاب والأدباء من خروج عن قوانين اللغة والموسيقى.

يرى (جان كوهين) أنه "لا يتحقق الشعر إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلقها مع كل خطوة، وهذا يفترض تكسير الهياكل الثابتة للغة وقواعد النحو"^(٣).

(١) ستيفن ألان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، مقال مترجم ضمن كتاب اتجاهات البحث الأسلوبية لشكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ٨٨٦.

(٢) محمود معروف، مناهج النقد الأدبي الحديث بين التنظير والتطبيق، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ص ١٠٩.

(٣) جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ١٧٦.

ويمكن الإشارة هنا إلى وجود علاقة ارتباطية بين هذا المبدأ (التركيب) والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، وثقافته وبيئته التي تفرض عليه تركيباً دون غيره، وتوظف مفردات خاصة بالشاعر وبمعجمه الشعري، ومن هنا كان اختلاف الأسلوب وتنوعه من شاعر لآخر، فوقع اهتمام اللغويين والنقاد على مبدأ التركيب بوصفه عصب البحث الأسلوبي.

(٣) الانزياح

ويُقصد به "انحراف الكلام عن نسقه المألوف"^(١)، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، كما يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته، "وهو باب من أبواب الأسلوبية التي تقيد الباحث في دراسة تحليل النصوص"^(٢).

يتضح من ذلك أن المبدع يعتمد إلى بعض الانحرافات والتجاوزات في قواعد اللغة مما يخدم نصه الإبداعي، ويضيف به بصمة تفرد لأدبيته، كما يكشف هذا المبدأ مميزات الأديب/المبدع وطاقته اللغوية المكثفة.

ولا شك أن هذا الخروج والانحراف على قواعد اللغة يكون انحرافاً وخروجاً إبداعياً يُنمّي النص ويكسبه طاقات متجددة العطاء للناقد الأدبي الذي يعتمد إلى تحليل النص الأدبي.

اتجاهات الأسلوبية ومناهجها:

تتعدد اتجاهات الأسلوبية بلا شك فيصعب حصرها ولكن من أكثرها شيوعاً: الأسلوبية التعبيرية، والفردية، والتأثيرية، والبنائية، والإحصائية، وهنا يقوم الباحث بالتعرض لهذه الاتجاهات وبيان مفهومها وأهم مميزاتاها.

(١) الأسلوبية التعبيرية

وتعني "دراسة وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية"^(٣).

ويُعد (شارل بالي) رائداً للأسلوبية التعبيرية، التي يبدو أنها تركز على دراسة المضمون الشعوري والوجداني للنص بما يحمله من شحنات عاطفية للمتلقى.

(١) نور الدين الأسد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٧.

٢) الأسلوبية الفردية

وهي أسلوبية تهتم بالربط بين النص ومبدعه "إذ تتخذ من العمل الأدبي وسيلة للولوج إلى نفسية مبدعه من خلال معجمه الإفرادي والتركيب، كما تنتظر هذه الأسلوبية في تفرد الأعمال الأدبية وتفرد أصحابها"^(١).

ويقوم أصحاب ذلك المنهج باتباع النص واستنطاقه من أجل الاستدلال على مبدعه من خلال لغته المكونة من المفردات والتركيب والألفاظ والصياغة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى تفرد المبدع وهو تميز وتفرد لنصه الإبداعي أيضاً. وتعد هذه الأسلوبية إقراراً تاماً لعنصر الاختيار الذي يعد أهم مبادئ علم الأسلوب؛ إذ يدل عنصر الاختيار لدى المبدع على انتقاء عناصر عمله الفني.

٣) الأسلوبية التأثيرية

"وهي أسلوبية تتناول النص من حيث المتلقي الذي يمثل العنصر الثالث في العملية الإبداعية بعد النص والمبدع"^(٢).

وهنا يكون المنهج الأسلوبي قد نجح في دراسة الإبداع بعناصره الثلاثة (المؤلف، النص، المتلقي) وفي هذا النوع من الأسلوبية ينصبّ الاهتمام على المتلقي بشكل كبير، ومدى استجابته للنص، وتوسيع دائرة استدلالته ومعانيه من خلال تجربته الواسعة.

٤) الأسلوبية البنيوية

وهي أسلوبية تقوم على بنية اللغة من خلال تحليل عناصر النص الإبداعي، ودراسة الوسائل التعبيرية في اللغة، ويُعد هذا الاتجاه امتداداً لآراء دوسوسير في التفريق بين اللغة والكلام "وقد اهتم هذا الاتجاه بدراسة عنصر اللغة في النص الأدبي، وتحديد العلاقات التركيبية للعناصر اللغوية في تتبعها ومماثلتها، وذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي"^(٣).

٥) الأسلوبية الإحصائية

يُعد الاتجاه الإحصائي أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليه الدراسات الأسلوبية في قراءة النصوص، وهو اتجاه يُعنى بالكَم والإحصاء للظواهر اللغوية في النص كما

(١) محمود معروف، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص ١١٣.

(٢) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٤٢.

(٣) نور الدين الأسد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزء الأول، ص ٩١.

يبني أحكامه على نتائج هذا الإحصاء، وتهتم الأسلوبية الإحصائية بدراسة الأصوات والإيقاع، ورصد العلاقة بين الصوت والمعنى.

"ويُعد المنهج الإحصائي أسهل طريق لمن يتحرى الدقة العلمية ويتحاشى الذاتية في النقد، فإن هذا المنهج يُستخدم كوسيلة للإثبات والاستدلال على موضوعية الناقد"^(١).
"وترجع عملية الإحصاء هنا إلى قدرتها على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية، وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً"^(٢).

وهذه الإحصائية التي تتم داخل النصوص ليست إحصائية عشوائية بل هي إحصائية فنية تستهدف جماليات النص الإبداعية واللغوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى مساهمة هذه الأسلوبية في إثبات بعض النصوص إلى مؤلفيها أو نفيها عنهم، وذلك من خلال دراسة النص بعين المنهج الأسلوبية الإحصائية فيتسنى للمتلقي رصد أسلوب كاتب واستخدامه للغة وتمييزه عن غيره، وفي ذلك يعزو صلاح فضل أهمية الإحصائيات إلى إسهامها في نسبة النصوص إلى قائلها.

الأسلوبية والحقول المعرفية:

لا شك أن الأسلوبية تتقاطع مع غيرها من الحقول المعرفية التي تتناول الخطاب الأدبي بالتحليل: كالبلاغة، والنقد، واللسانيات، وقد أفادت الأسلوبية من هذه الحقول لا سيما اللسانيات، لكن الأسلوبية استطاعت أن تُفسح لنفسها مجالاً بين العلوم الحديثة متنوعة المناهج والاتجاهات، وكونت علماً قائماً بنفسه لكنه بلا شك يتداخل مع الكثير من الحقول المعرفية الأخرى، ومن أهمها: علم اللغة، والنقد الأدبي، وعلم البلاغة.

(١) الأسلوبية وعلم اللغة

هناك علاقة وثيقة الصلة بين علم اللغة والأسلوبية، ويمكن القول إن العلاقة بين الأسلوبية وعلم اللغة هي علاقة منشأ ومنبت، ولكل علم قوانينه وحدوده؛ حيث يدرس علم اللغة مكونات الكلام الملفوظ، بينما تدرس الأسلوبية كيفية القول من خلال وصف وتحليل الصيغ والألفاظ المستخدمة في طريقة التعبير عن فكرة معينة كما يقدم علم اللغة الأدوات اللازمة للمؤلف التي يستطيع من خلالها التعبير عن فكرة معينة نحو الصيغ

(١) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ١٩٨.

(٢) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٥١.

والتراكيب والألفاظ...، بينما تقوم الأسلوبية على مبدأ الاختيار الذي ينتقي فيه المؤلف عناصر عمله الإبداعي ويفضل فيه صيغة عن أخرى وتركيباً عن آخر.

الأسلوبية	علم اللغة
<ul style="list-style-type: none"> • تصف الكلام وتحلله (كيفية القول). • تقدم عنصر الاختيار. 	<ul style="list-style-type: none"> • يدرس مكونات الكلام الملفوظ (ما يُقال). • يقدم الأدوات اللازمة للكاتب/المتكلم للإفصاح عن فكرة.

الأسلوبية والنقد الأدبي:

تلتقي الأسلوبية مع النقد الأدبي عند نقطة معالجة النص من خلال عناصره ومقوماته الإبداعية متخذة من اللغة والبلاغة جسراً تصف به النص الأدبي، ومن ثم فإن الدراسة الأسلوبية عملية نقدية تركز على الظاهرة اللغوية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن منهج الأسلوبية أضيق من مفهوم النقد الأدبي؛ إذ يقوم النقد الأدبي بنتاول النص من كل زواياه، بينما تقتصر الأسلوبية على الجانب اللغوي للنص.

ويستخدم الناقد الأدبي جميع الأدوات الفنية المتوفرة (اللغة - الذوق الفني - الصياغة - التاريخ - علم النفس...) بينما تعتمد الأسلوبية على الجانب اللغوي فقط. ومن هنا يمكن وصف العلاقة بين العلمين بالعلاقة الجدلية، لكن ذلك لا ينفي كونهما مساندين بعضهما لبعض ومتصافرين للوصول بالنص الأدبي إلى أعلى صورته الجمالية.

الأسلوبية	النقد الأدبي
<ul style="list-style-type: none"> • ذات مفهوم أضيق وأخص من النقد الأدبي. • يتناول النص من الجانب اللغوي فقط. • يعتمد الأسلوبيون على لغة النص فقط. 	<ul style="list-style-type: none"> • ذو مفهوم أوسع وأشمل من الأسلوبية. • يتناول النص من جميع زواياه. • تتنوع أدوات الناقد (لغة - ذوق - صياغة - تاريخ - علم نفس - اجتماع...).

(٢) الأسلوبية وعلم البلاغة

كانت البلاغة القديمة - كما سبق وأن أشار الباحث - تنظر إلى اللغة نظرة ثابتة بوصفها شيئاً مادياً لا يمكن تجزئته، وتعد الكلمة ذات خلق محدد بمعنى أنها لا تؤدي إلا

معنى واحداً، ولا تعبر إلا عن موقف واحد أيضاً، فقامت بوضع القوانين التي تنظم عملية الإبداع الأدبي، وحينئذ يتعين على الأديب أن يُراعي هذه القوانين داخل عمله الإبداعي.

وعندما جاءت البلاغة للتطبيق الفعلي للغة وجدت نفسها بحاجة إلى علم الأسلوب؛ لتصنيف هذا الكلام، وارتبط مصطلح الأسلوب فترة طويلة بمصطلح البلاغة، حيث ساعد على تصنيف القواعد المعيارية التي تحملها البلاغة^(١).

وقد كانت هناك طبقات الأسلوب، السامي والمتوسط والبسيط، ومع قيام مجموعة من الحركات المضادة التي سعت إلى تحرير العلوم وبخاصة الأدب- من هذا الفكر الجامد الثابت، وتخليصه من هذه القيود المادية، حينئذ فقدت البلاغة كثيراً من هيمنتها؛ فكان لابد من نشوء علم الأسلوب الذي يُعد بمنزلة "الوراث الشرعي لها"^(٢).

وجاء علم الأسلوب لينظر إلى اللغة نظرة مغايرة تماماً لنظرة علم البلاغة؛ إذ أعاد للغة حيويتها وفعاليتها؛ فجعلها ذات خلق متجدد تؤدي أكثر من معنى، كما يمكن من خلالها التعبير عن العديد من المواقف، ومن هنا ظهرت فاعلية اللغة ودورها في التأثير.

يتضح من ذلك أن علم الأسلوب جاء بديلاً عن البلاغة القديمة؛ لأن "علم البلاغة علم لغوي قديم، وعلم الأسلوب علم لغوي حديث، والعلوم اللغوية القديمة تنظر إلى اللغة على أنها شيء ثابت، في حين أن العلوم الحديثة تُسجل ما يطرأ عليها من تغير وتطور"^(٣).

وبذلك يمكن اعتبار الأسلوبية منهجاً تحليلياً وصفيًا يوجد تبعاً لوجود النص، ولا يمكنه إصدار حكم على جودة النص أو رداً عنه، بل هو وصف فقط وتحليل للنص. إذن فالأسلوبية عكس البلاغة؛ إذ إن البلاغة علم معياري يصدر الأحكام ويحددها قبل وجود النص، أي أنه علم ذو قوانين معيارية موجودة قبل وجود النص في حين أن الأسلوبية نظام يُعنى ليس بالقواعد المنتجة للكلام، ولكن بالكلام من حيث هو منتج للطاقة^(٤).

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي، وعبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، الجار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ١٢.

(٢) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص ١٣٥.

(٣) شكري عياد، من دخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٦.

(٤) منذر عيالي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص ١٠٠.

وعلى ذلك تكون البلاغة علماً معيارياً ثابتاً، بينما الأسلوبية منهجٌ تحليليٌ وصفيٌ.

وقد عُرفت البلاغة قديماً بالتفريق بين اللفظ والمعنى، كما قامت بفصل الشكل عن المضمون في النص الأدبي "أما الأسلوبية فتري أن النص كيان لغوي واحد بدوالة ومدلولاته، ولا مجال للفصل بينهما أو لبحث أحد الجانبين دون الآخر"^(١). إذن تقوم الأسلوبية على عكس ما قامت عليه البلاغة القديمة، وكأن الأسلوبية جاءت لتصحيح مسار فكر علم البلاغة، وتقويم آرائه.

علم البلاغة	الأسلوبية
<ul style="list-style-type: none"> • علم معياري ثابت. • يجعل من اللغة شيئاً مادياً. • يتناول النص بعد فصل شكله عن مضمونه، ويصدر أحكاماً سابقة عن النص. 	<ul style="list-style-type: none"> • منهج تحليلي وصفي. • تعيد للغة حيويتها وفعاليتها. • تتناول النص بصفته كياناً واحداً دون فصل بعضه عن بعض.

(١) فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٨.

خاتمة:

في النهاية نخلص إلى النتائج الآتية:

١. نشأ علم الأسلوب نتيجة التطورات العلمية التي قامت في القرن التاسع عشر سائرا على درب العلوم اللسانية.
٢. تقوم الأسلوبية مرتكزة على مبدأ الاختلاف في استعمال اللغة.
٣. يعتمد الأسلوب على ثلاثة مبادئ رئيسية هم: الاختيار، والتركيب، والانزياح.
٤. تتقاطع الأسلوبية مع غيرها من الحقول المعرفية المتعددة، لكنها تمتاز عن كل هذه العلوم بكونها منهج تحليلي وصفي، كما مثلت الأسلوبية تصحيح مسار لأفكار بعض العلوم كعلم البلاغة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين التراث والمعاصرة، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٢- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد)، المقدمة، تح: علي عبدالواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، الجزء الرابع.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- ٤- بيرو جيرو، الأسلوبية تر: منذر عياشي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ٥- جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٦- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٦٦م.
- ٧- الزمخشري، أساس البلاغة، طبعة كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٨- ستيفن ألمان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، مقال مترجم ضمن كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي لشكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ٩- شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ١٠- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ١١- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٢- محمود معروف، مناهج النقد الأدبي الحديث بين التنتظير والتطبيق، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
- ١٣- محمد كريم الكواز، علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السابع من أبريل، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
- ١٤- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

